فكرة التمرد، فالبيت الكبير الذى ورثه النفيس

جنبات البيت»

مولده، إنه «الشيخ السمان»

ورد فى الرواية على لسان البطل: «حفظى للقرآن

وطنه مصر وتاريخها الطويل منذ الأزل.

لقاء «هيكل» و«الهضيبي» منذ 68 عاما:

أساليب دعاية الإخوان لتبييض صفحة إرهابييها.. حسام منوفي مثالا!

الطريقة الغريبة التى روجت بها لجان جماعة الإخوان على مواقع السوشيال ميديا لخبر القبض على المتهم "حسام منوفي" فى مطار الأقصر تسترعى الانتباه ولها العديد من الدلالات المهمة. الدلالة الأولى: هى استمرار النهج الإعلامى النازى للجماعة على ما استقرت عليه منذ تأسيسها، وقد تأسست على يد مرشدها الأول "حسن البنا" فى أواخر عشرينات القرن الماضى تأثرا بأجواء صعود وانتشار الحركات النازية والفاشية فى أوروبا. المبدأ أو اللامبدئية المعروفة فى الدعاية والإعلام النازيين هو "اكذب حتى يصدقك الناس". هذا الكذب تخفى فى تقديم "المنوفي" كما لو كان "معارضا مصريا" لا إرهابيا إخوانيا!. ثم محاولة الإيهام بأن القبض عليه لم يكن لسبب آخر سوى أنه معارض، مع التغافل – أو الاستغفال – أمام قائمة مطولة من جرائمه المتهم فيها، والقضايا المطلوب تقديمه فيها للمحاكمة، والعمليات التى تطارده دماء ضحاياها، ومن بينهم اللواء "عادل رجائي" قائد الفرقة ٩ مدرعات، والرائد "محمود عبدالحميد صادق" رئيس مباحث مركز طامية بالفيوم، والملازم "أحمد عز الدين" بقسم شرطة العمرانية، وأخيرا النورط فى محاولة اغتيال فاشلة للنائب العام المساعد المستشار "زكريا عبدالعزيز". كل تلك العمليات التى قامت بها وأعلنت مسئوليتها عنها "حركة حسم" الإخوانية. و"المنوفي" متهم بأنه أحد مؤسسى هذا الجناح المسلح من أجنحة الجماعة بكل ما ارتكب به من عمليات تفجير واغتيال منذ فض اعتصام رابعة الإرهابي.

الدلالة الثانية هى التناقض المفضوح تقليديا للكذب الإخواني. ففى حين تصف اللجان الألكترونية وإعلام الجماعة الإرهابى بأنه معارض، محض معارض!، تزعم أن القبض عليه فى مطار الأقصر لم يكن محض مصادفة، مصادفة قذفت بها الأقدار بالمتهم ليلقى جزاء يستحقه عبر محاكمة، بدلا من ذلك يزعمون أن القبض عليه جرى بعملية دبرتها المخابرات السرية. وهذه "المعلومات السرية" نمت لعلم الجماعة بطريق يجهله الجميع، لا أظن أنه العلم اللدنى مثلا!، رغم ذلك يردد إعلام ولجان الجماعة بيقين قاطع أن الطائرة التى استقلها كادر حسم الإرهابية فى طريقه من السودان إلى تركيا، لم تجبر على الهبوط اضطراريا فى مطار الأقصر بسبب إنذار حريق بداخل الطائرة، وإنما عبر اتفاق بين المخابرات المصرية وشركة الطيران السودانية الخاصة "بدر" المسئولة عن الرحلة الجوية. وأيا كانت مصداقية معلومات الجماعة اللدنيّة تلك فإن ما يترتب على تصديق وجود دور لأجهزة الأمن المصرية فى القبض على الإخوانى الهارب – بالمنطق السوى – هو أنه إرهابى تم اصطياده بعملية أمنية أو مخابراتية نظيفة، إذ ليس فى وسع عقل – مهما بلغ به العبث مداه – أن يتخيل أن أجهزة أمن تصدت بنجاح ومهارة واحترافية عبر السنوات الماضية لموجة كاسحة ذات تخطيط عال وتمويل مفتوح، وبمشاركة عناصر الجماعة داخل وخارج مصر على نطاق واسع، لا يمكن تخيل أنها أجهزة أمن تتسلى بمطاردة واصطياد معارض بلا شأن، هذا لو تصورنا أن كادر الجماعة الإرهابية "المنوفي" هو معارض بالفعل. ولو كانت أجهزة الأمن المصرية كما تصورها دعايات الجماعة المتناقضة على هذا النحو الهزيل، ما وصلنا فى مصر إلى هذا النجاح فى مواجهة أذرع الجماعة الإرهابية وتنظيمها الدولي، وهو نجاح تجسد خلال العام المنصرم ٢٠٢١ فى إلغاء حالة الطوارئ، لأول مرة منذ رحيل نظام الجماعة بثورة فى ٢٠١٣.

الدلالة الثالثة المهمة للمعالجة الدعائية الإخوانية النازية لخبر القبض على عنصر حسم "حسام المنوفي"، هى أن الجماعة لن تتنازل أبدا لا عن أساليب إرهابها وعنفها الدموى المروع، ولا عن أساليب كذبها وقبحها الدعائى المشوه. هذا الاسلوب المقزز فى انتهاج أساليب عنف دموية من جهة، وانتهاج أساليب تتكر لها من جهة أخرى، كان دائما الاستراتيجية الثابتة للجماعة فى ممارساتها التخريبية. أسلوب اتبعته منذ الاربعينيات عندما تبرأ مؤسسها "حسن البنا" من موجة الاغتيال والتفجير الواسعة التى قام بها أعضاء "التنظيم الخاص" التابع للمرشد شخصيا، ووصفه لمن قاموا باغتيال رئيس وزراء مصر آنذاك "محمود فهمى النقراشي" – سنة ١٩٤٨ – بأنهم "ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين". ثم اتبع نفس الأسلوب المرشد الثانى للجماعة "حسن الهضيبي" فى أعقاب محاولة عناصر نفس "التنظيم الخاص" التابع للجماعة اغتيال الرئيس "جمال عبدالناصر" سنة ١٩٥٤. ثم اتبع نفس الأسلوب للمرة الثالثة بعد انكشاف مخطط تنظيم الجماعة القطبى سنة ١٩٦٥، نسبة للمفكر "سيد قطب" الذى لا تزال الجماعة تطلق عليه وعلى مؤسسها الإرهابى "حسن البنا" لقب الشهيد أيضا، خطط التنظيم القطبى لموجة أخرى من الاغتيالات والتفجيرات أضيف إليها إغراق دلتا مصر بأكملها فى عملية تفجير القناطر الخيرية حسبما خطط لها.

أود هنا التوقف لتأمل طبيعة "الأسلوب التقليدي" لجماعة الإخوان فى التحلل من إرهابها، وفى تبييض صفحة إرهابييها، وهى طبيعة ربما تستحق التحليل على طريقة علم نفس الجريمة، وقد تستحق بعض عناصر الجماعة من أجلها أن ينزلوا سجناء على المصحات النفسية والمشافى الذهانية. هذا فيما لو صدقنا أن عناصر الجماعة أنفسهم يصدقون أنفسهم فى كذبهم المكشوف!.

وأعود فى هذه الوقفة – وبدون تعليق منى – إلى مقال كتبه الأستاذ "محمد حسنين هيكل" سنة ١٩٥٤، تناول فيه تفاصيل لقاء أجراه مع مرشد الجماعة "حسن الهضيبي" فى أعقاب محاولة اغتيال الرئيس "جمال عبدالناصر" فى ميدان المنشية بثمانى رصاصات. فى هذا الوقت – نوفمبر ١٩٥٤ – زار هيكل المرشد الهضيبى فى سجنه، ودار هذا الجانب المذهل من الحوار بينهما:

● هيكل: هل يبيح القرآن القتل والإرهاب؟

– الهضيبي: لا

● هيكل: وهذه الرصاصات الثمانى التى سمعتها بأذنيك فى ميكروفون السجن؟

– الهضيبي: يُسأل عنها الذى أطلقها

● هيكل: وهل أطلقها من نفسه هكذا بدون تحريض؟

– الهضيبي: ومن أين لى أن أعلم أن هناك من حرض؟

● هيكل: ألم يكن النظام السرى تابعا لك مباشرة؟

– الهضيبي: أنا كنت مرشدا عاما أبحث رؤوس المسائل وأقررها ولا أدخل فى التفصيلات. شأن النظام السرى كنت أعلم أنه موجود ولكن بالنسبة لى كان رأس مسألة (!!) أما التفاصيل فكان يشرف عليها اثنان خميس وفرغلي.

● هيكل: إذن أحدد سؤالي: هل ترى أن الإسلام يبيح إنشاء منظمة سرية مسلحة للإرهاب؟ وهل السياسة فى هذا البلد والحريات التى نتطلع إليها يمكن أن تسمح بقيام منظمات سرية مسلحة؟

– الهضيبي: من قال هذا؟!

● هيكل: أنت قلت الآن.. لقد قلت إنك تعرف أن هناك نظاما سريا، ولكن الذى نفيته أنك أنت الذى كنت تصدر الأوامر. ولقد قلت لى أنك كنت تعرفه كرأس مسألة ولكنك لم تعرف الظروف التى يعمل فيها، ألم يكن محققا أن أفهم من كلامك هذا؟.

كان محققا بالطبع أن يصل "هيكل" من كلام مرشد الجماعة الإرهابية لهذا الفهم المنطقي، ولايزال محققا حتى اليوم أن يصل المنطق المستقيم للفهم نفسه، لكن المنطق المشوّه الحاكم فى تعامل الجماعة مع جرائم عناصرها الإرهابية، هو محاولة تبييض صفحتهم وصفحتها بكل الحيل غير المنطقية، وعلى قاعدة اللامبدأ النازي: "اكذب حتى يصدقك الناس".

عصام الزهيري